

الحلقة الرابعة عشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

على أي أساس تبني مستمعي حياتك؟ هل على أساس التقاليد والعادات التي تربيته عليها ونشأت؟ أم على أساس القيم والمثل العليا التي تحاول تطبيقها في حياتك؟ أو على أساس الفرائض والواجبات الدينية؟ وهل وقفت مرة لتفكر في الأسس التي يجب أن تبني عليها حياتك؟ مع الأسف هناك الكثيرون ممن لم يفكروا في الأسس التي يجب أن يبنيوا عليها حياتهم. وهكذا يسبغون دون أن يعرفوا حقيقة أهدافهم في الحياة، أو دون أن يتأكدوا من الأسس التي بنوا عليها حياتهم، وإن كانت صحيحة أم خاطئة.

حول هذا الموضوع الهام تحدث المخلص المسيح في ختام موعظته المشهورة على الجبل فقال: «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أَشَبَّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَّاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لِأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا، يُشَبَّهُهُ بِرَجُلٍ جَاهِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الْأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَّاحُ، وَصَدَمَتْ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!» (بشارة متى ٧: ٢٤-٢٧).

كلنا يعلم أهمية بناء بيوتنا على الصخر، وليس على الرمل. وأنه كلما كان الأساس عميقاً في الأرض كلما ثبت البيت أمام الأمطار والرياح العاصفة. وعلى العكس لو بنينا البيت على الرمل لسقط سريعاً أمام موجات المطر والرياح المتتالية. لكن ماهي علاقة هذا الأمر بحياتنا؟

مستمعي العزيز، لقد وصف المخلص المسيح الإنسان الذي يبني بيته على الصخر بالرجل العاقل، بينما وصف الإنسان الذي يبني بيته على الرمل بالرجل الجاهل. وهذا أمر طبيعي فمن الحكمة أن نبني بيوتنا على الصخر، لكن من الجهل أن نبنيها على الرمل.

لقد شبّه المخلص المسيح الذي يسمع كلامه ويعمل به بالرجل العاقل الذي بنى بيته على الصخر. بينما شبّه الإنسان الذي يسمع كلامه ولا يعمل به بالرجل الجاهل الذي بنى بيته على الرمل. وهنا يتضح أن المهم هو أن يعمل الإنسان ويسلك بما يطلب منه المخلص المسيح، لا أن يكون سامعاً فقط.

ويتضح لنا أيضاً أن المخلص المسيح قد شبّه الأساس الذي نبني عليه حياتنا بالأساس الذي نبني عليه بيوتنا. فإن كان هذا الأساس صحيحاً ومتيناً كالصخر، نستطيع مواجهة أعاصير الحياة ومصاعبها، ونبقى صامدين. بينما إذا كان الأساس خاطئاً ورخوياً كالرمل، فإننا نسقط سريعاً عند مواجهتنا لأية أزمة. إذن من المهم جداً أن نفكر ونبحث عن الأسس السليمة لبناء حياتنا.

إن التقاليد والعادات التي تربيها علينا ونشأنا بها، لا تكفي لكي تكون أساساً متيناً لحياتنا. لأن هذه التقاليد والعادات قد لا تكون صحيحة دائماً، وتتبدل مع تبدل المجتمعات وتعاقب الأجيال. وكذلك الفرائض والواجبات الدينية التي نؤديها قد لا تكون سليمة، لأنها لا تصدر عن القلب، وتصبح عقيدة ولا معنى لها بسبب التكرار الممل. أما القيم والمثل العليا التي نحاول تطبيقها في حياتنا، فمن الصعوبة لنا كأنا كخطاة أن نصل إليها بسبب عجزنا.

اتضح لنا أن كل هذه الأسس التي نحاول بناء حياتنا عليها هي أسس واهية، وتكون كمن يبني حياته على الرمل. لعلّ السؤال الآن: ما هو إذن الأساس الصحيح والمتين الذي نبني عليه حياتنا؟ الأساس الذي يكون مبنياً على الصخر ويستطيع مواجهة عواصف الحياة وأزماتها؟

مستمعي الكريم، لقد تحدّث المخلص المسيح موضحاً أن الإنسان الذي يسمع كلامه ويعمل به يكون كمن يبني بيته على الصخر، أو بمعنى آخر يبني حياته على الأساس الصحيح المتين. فما هو هذا الأساس الذي قصده المخلص المسيح؟ لقد وصف بولس رسول المسيحية المسيح، أنه هو حجر الزاوية الذي تُبنى عليه حياتنا.

وقبل صعوده إلى السماء تحدّث المخلص المسيح إلى تلاميذه عن ارتفاعه، وأنهم سيعلمون عندئذ المكان الذي سيذهب إليه، ويعلمون الطريق. فسأله التلميذ توما: «يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟» فأجاب المخلص المسيح: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِئِي» (بشارة يوحنا ١٤: ٥-٦). إذن إن المسيح نفسه هو الطريق والحق

**والحياة**، أي هو الأساس الصحيح الذي يجب أن نبني عليه حياتنا. فإذا كان المسيح هو الطريق فلا وجود لطريق آخر علينا أن نسلكه. وإذا كان هو الحق فلا وجود لحق آخر يجب أن نتبناه، وإذا كان هو الحياة، فهذا يعني أنه هو الحياة الحقّة، ولا معنى للحياة بدونه.

وتابع المسيح مؤكداً: أن ليس أحد يأتي إلى الله الآب إلا من خلاله. أي هو الوسيط الوحيد بين الإنسان الخاطيء والله القدوس. نعم، لقد استحق المسيح أن يكون وسيطاً وحيداً بيننا نحن الخطاة وبين الله القدوس، لأن الله قد أرسله ليموت على الصليب تكفيراً لخطايانا، وقام من بين الأموات لكي يهبنا الغفران والحياة الجديدة والخلود. فهو بالفعل الطريق والحق والحياة. وهو بالتالي الأساس الصحيح المتين الذي يجب أن نبني عليه حياتنا.

أجل مستمعي إن الإيمان الحقيقي وليس بالكلام فقط، بالمسيح المخلص ويموته على الصليب وقيامته من الأموات، هو الأساس الصحيح، وحجر الزاوية الذي يجب أن نبني عليه حياتنا، وكل ما عداه باطل وواهٍ ومزيف. فهل تترك هذا الرجل العاقل الذي يبني أساس حياته على الصخر؟